



MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : ANS - WAHAR
Date : 2-9-93
Photo No. : 140

شيء من الصدق أيتها السادة

بصراحة، ايها السادة، تتوقع منكم افضل من ذلك. في هذه اللحظة التاريخية، تتطلع الى شيء من التآلق في وصف ما نحن مقبلون عليه، ان في تحديد الفرصة المتاحة أو في التحذير من مخاطرها، لا مجرد اجترار شعارات رتيبة فقدت اي معنى من كثرة ما سمعناها من هزيمة الى هزيمة. نتوق الى سجل سياسي مختلف يعكس في لغته ومضمونه القطيعة التي يشهدها تاريخنا. نتوق الى شرح مركب لحيثيات صيفة "غزة - اريحا اولاً". لكننا نتوق ايضاً الى معارضة تتسلح بالبدائل، أو على الاقل بوحي "مفقلن" للتاريخ ولما فعله بنا، لا بلفظية لم تعد مقبولة منذ حرب ١٩٧٢ حتى لا نذهب ابعد. وقبل كل شيء، نتوق الى قليل من الصدق في التأييد كما في المعارضة.

فليس صحيحاً، كما قال الرئيس عرفات قبل امس في القاهرة ان الصيغة المعتمدة تأخذ في الاعتبار الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني. ألم يكن من الافضل التسليم بأن هذا الحل هو ثمرة هزائم، خصوصاً ان الهجمة التي أضطرت الى القبول بالتنازل بريئة من معظمها؟ أليس من الحكمة القول ان هذا الحل، وان لم يكن يلغي تلك الحقوق، لا يشكل الا مدخلاً الى احقاقها؟ الا يجب تحضير النفوس الى خوض اختبار الحكم الذاتي بصفته معركة جديدة، وبوسائل جديدة، لم تحسم خسارتها مسبقاً؟

لا شك ان لغة الصراحة ستكون صعبة على القيادة الفلسطينية، ليس لأن عليها ان تخجل بما قبلت به، وانما لأن الواقع الذي يتصوره تلك اللغة هو واقع قاس بقساوة هذا القرن الضائع من تاريخنا، واقع مليء بالاحلام المحطمة، مفعم باصداء الانكسارات المتراكمة. ولأن المكابرة هي رد الفعل الطبيعي امام لغة التخوين التي اوضحت منذ سنين عادة سيئة يعتبر كل صغير انه مخول اللجوء اليها متى شاء. فكيف تجنب المكابرة عندما تكون المعارضة مضممة على الغرف من اسوأ ما في هذه العادة السيئة؟

فإننا كان دفاع عرفات عن صيغة الحل يعيدا عن الصدق المطلوب حتى الآن، فإن مقالة المعارضين ابعدهم بكثير، تختلط فيها مشاعر قومية ربما كانت صادقة بسوء نية جامحة ومقدار هائل من النفاق. ولعل أكثر ما يربح في هذه الموجة الموجهة من السخط أنها تبدو خارج الزمان والمكان. ففي مقابل الموقف الواحي والنبيل، نعم النبيل، الذي وقفه محمود درويش، ما أغرب هذه المعارضة التي تجمع احمد جبريل الى حفيد عبد الله، الى ذلك الوزير اللبناني الذي تعلم مفردات العروبة قبل امس، وبالدروس الخصوصية، الى الزعيم اللبناني الذي يدين بحضوره السياسي الى مناهضة الوجود الفلسطيني في لبنان ومفانلته آياه، الى غيرهم من الذين استفاقوا اليوم على اكتشاف الحقيقة المرة للثنوية السلمية، على رغم ان سنتين مضتا على موافقة الدول العربية قاطبة على مبادئها المحجفة وافقها المحدود.

والاغرب من كل ذلك ان ما يؤخذ على القيادة الفلسطينية من انفراد وامتناع عن التنسيق ما هو الا الوجه الآخر للابتزاز الذي طالما مارسه الاطراف الاخرى على الفلسطينيين، من توقيع مبكر لاعلان المبادئ المشتركة بين الاردن واسرائيل الى ايجاعات جيمس بايكر فوارن كريستوفر المتكررة باعطاء الاولوية للجمجمة السورية. اما اذا كان المأخذ اجراء مفاوضات سرية موازية لتلك التي تجري في واشنطن، فيعرف الجميع ان الطرف الفلسطيني لم ينفرد بما ابدأ، وان كان ينفرد بالاعتداد بما.

طبعاً، نعلم ان كل ذلك لن يدوم طويلاً. فمن المرجح ان تصمت معظم هذه الابواق عندما يستكمل حل الحكم الذاتي الفلسطيني بالاتفاقات العربية الاخرى، المتوقعة قريباً. لكن المشكلة ان ردود الفعل هذه، أكانت غريزية ام موجهة، هي بصدد اضعاف الفرصة امام واجب الشرح والتحليل الذي وحده يميئ الجمهور العربي للصفحة الجديدة. وهذا الواجب يفترض اولاً قراءة النصوص بعدما صارت متاحة. واذا فعلنا اكتشفنا ان حل "غزة - اريحا اولاً" قد يكون افضل من الدعاية التي رافقته.

فهو في النهاية مشروع متكامل للحكم الذاتي يعكس بدقة التوجهات الاولى التي اعطيت للمفاوضات في مدريد. وبهذا المعنى يتضح ان عبارة غزة اريحا اولاً ليست انتقاصاً وانما هي الاضافة.

اما كان يتوجب على القيادة الفلسطينية شرح ذلك منذ البداية واطلاق الحوار الذي يبطل الممانعات، فضلاً عن المزايدات من كل صنف؟

سمير قصير